الحرب الإسرائيلية الإقليمية في الشرق الأوسط وانعكاساتها على العراق: التطورات الراهنة واحتمالات المستقبل

م.د.تمارا كاظم مناتي *

يشهد الشرق الأوسط تصعيد خطير في ظل الحرب الإقليمية الحالية؛ بسبب اشتداد الصراع بين "اسرائيل" والمقاومة الفلسطينية في قطاع غزة والتوترات المتصاعدة في جنوب لبنان، وإن ما يتبادر إلى الذهن في هذا المجال، هو: كيف يستطيع العراق أن يتكيف مع هذه البيئة الإقليمية المتغيرة، وأن يؤثر فيها في الوقت ذاته لكي يقوم بتعظيم مصالحه وتحديد التحديات التي تعترض سبيله في البيئة الإقليمية والدولية ليكون مؤثر في الامن الاقليمي الخاص في الشرق الاوسط؟. إذ يمكن لاستمرار هذهِ الحرب أن يؤثر على العراق، إلا أن الوضع في العراق أقل حدة مقارنة بسوريا ولبنان، نظرًا لعدم امتلاكه حدودًا برية مع "إسرائيل"، ومن هنا تركز الدراسة على تأثيرات حرب غزة ولبنان وتطور الاوضاع في سوريا على السياسة الداخلية والخارجية للعراق وكيفية تأثير هذا الصراع على استقرار الحكومة العراقية والمجتمع.

الكلمات المفتاحية : الحرب الإقليمية، العراق، الشرق الأوسط .

The Israeli Regional War in the Middle East and Its Implications for Iraq: Current Developments and Future Prospects

Dr. tamara Kadim Mun

The Middle East is witnessing a dangerous escalation amidst the ongoing regional war, due to the intensification of the conflict between Israel and Palestinian factions in the Gaza Strip, as well as rising tensions in southern Lebanon. This raises a critical question: How can Iraq adapt to this changing regional environment while simultaneously influencing it to maximize its interests and address the challenges it faces in both the regional and international arenas, in order to play a significant role in the regional security of the Middle East? The continuation of this war could have an impact on Iraq. Although the situation in Iraq is less severe compared to Syria and Lebanon, given its lack of a land border with Israel, Thus, the study focuses on the impacts of the Gaza and Lebanon wars, as well as the developments in Syria, on Iraq's domestic and foreign policies, and how this conflict affects the stability of the Iraqi government and society.

Key words : Regional war, Iraq, Middle East.

المقدمة

أن الصـــراع الإقليمي له أبعاد مختلفة ومحددة على جميع الدول المحيطة ولعل العراق في مقدمتها، مما يجعل للصـــراع الإقليمي تأثير على الامن القومي للعراق وقد يؤدي الى عدم الاستقرار السياسي في الدول، فقد برزت حرب غزة ولبنان كأحد الصـــراعات الكبرى التي لها اثار واسـعة على الاسـتقرار الداخلي والأمن الاقليمي والدولي بالنسبة للعراق، وفي بحثنا هذا نبحث كيف أن هذا الصراع الإقليمي يؤثر بكل الجوانب على وجود واســـتقرار الدولة العراقية، وذلك في ظل التحديات المعقدة التي يواجهها العراق نتيجة للتفاعلات الاقليمية والدولية المعقدة.

أهمية البحث: تأتي دراســة الموضــوع لإبراز أهمية ابتعاد العراق عن سياسـة المحاور والصـراعات في منطقة الشـرق الأوســـط، وذلك من خلال محاولة العراق بناء شـــبكة علاقات متوازنة مع شـــركاء إقليميين ودوليين، إذ يدرك صـناع القرار في العراق خطورة الانضـواء إلى جانب محور إقليمي أو دولي معين ضد آخر.

هدف البحث: أن الهدف من الدراسة هو تحليل تداعيات حرب غزة ولبنـان على العراق لتقـديم رؤيـة معمقـة حول كيفية تأثير هذهِ الحروب على بنية النظام الســياســي في العراق، مع ضـــرورة النظر حول كيفية تفاعل الفاعليين المحليين مع هـذهِ الحرب الإقليميـة، ومـا إذا كـانـت هـذهِ التداعيات تعزز أو تضـعف من فرص التفاعلات الإقليمية والدولية المستقبلية في العراق.

مشـكلة البحث: يحاول البحث عن الاجابة عن تسـاؤل رئيس حول كيف يمكن أن تؤثر الحرب الإقليميـة على العراق؟ ومـا هي حـدود قـدرتـه على التفـاعـل مع هـذهِ الحرب في ظل المعوقات القائمة؟

فرضية البحث : يحاول البحث أثبات فرضية مفادها : " أن العراق لا يزال متحفظًا على الانخراط المبـاشـــر في النزاعات الإقليمية، إذ سـيظل العراق يوازن بين مصـالحه الوطنية والضـــغوط الإقليمية مع التركيز على تجنب أي تصـــعيد قد يؤثر ســلبًا على اســتقراره الداخلي، إلا أن التأثيرات الخارجية، يمكن أن تؤدي دورًا في تحديد هذا المسار".

منهجية البحث: من اجل دراســة الموضــوع اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي وذلك لتحليل موقف العراق من التصعيد في غزة ولبنان وتقديم استنتاجات دقيقة حول الموضوع، فضلاً عن استخدام المنهج الاستشرافي المستقبلي لبيان سيناريوهات تطور الحرب الإقليمية.

هيكلية البحث: تم تقسيمه كالأتي:

أولاً: الحرب الإقليمية: إطار مفاهيمي.

ثانيـاً: تحليـل أثر الحرب في غزة ولبنـان على التوازنات السياسية الداخلية في العراق.

ثالثاً: معوقات التدخل العراقي في الحرب الإقليمية.

رابعاً: المشاهد المحتملة خلال المستقبل المنظور.

أولاً : الحرب الإقليمية: إطار مفاهيمي

في مســتهل الحديث الحرب الإقليمية تشــير إلى النزاعات التي تشــمل عدة دول ضــمن منطقة جغرافية معينة، وغالباً ما تتداخل فيها المصـــالح المحلية والدولية، وفي سياق الشرق الأوسـط، تعد الحرب الإقليمية حالة متزايدة من التوترات بين دول مثل إيران و"إســـرائيل" وغزة ولبنان، إذ يُخشى من اندلا ع صراع واسع النطاق قد يؤدي إلى نتائج كارثية، وتتضمن هذه النزاعات عادةً تدخل قوى خارجية، مما يعقد الأوضـــاع ويزيد من احتمالات التصعيد(1).

كـذلـك يمكن تعريف الحرب الإقليميـة: " بأنهـا الحرب التي تتورط فيها عدة دول في الإقليم، فهي الحرب التي تنخرط فيها عدة دول مجتمعة(2).

وعلى الرغم من عدم وجود تعريفاً محدداً ومتفق عليه يفسر معنى الحرب الإقليمية إلا أنها تدور في فلك واحد هو مواجهة الأقوياء بأسلوب الضعفاء فإن هذا النوع من الحرب شكل غير تقليدي للحرية يستخدم فيه الطرفان نفس الأدوات واستراتيجيات القتال ولا يخضع لمعايير التوازن السائدة، لذا نعتقد أن هذا النمط من الحرب يحتاج بوجه خاص إلى قيادة تتميز بالشجاعة والمعرفة والفكر الجوال المتحرك القادر على الاستنباط وقراءة افكار العدو، وهو في الوقت ذاته قادر على الإبداع والتطور واستنباط الاساليب والطرق الحديثة والمتطاولة من حيث الرد وانتزاع المبادأة من الخصم، لهذا يتميز هذا الصراع بعدم المركزية بين أسس وعناصر الدول المتحاربة ومن الحرب شاملة ومستمرة تشمل الجوانب السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والإعلامية(3).

ومن هذا المنطلق فأن العلاقة بين الحرب الإقليمية والاستقرار السياسي للدول هي معقدة ومتداخلة ، ويمكن أن تؤثر هذه الحروب أما بشكل سلبي أو إيجابي (ويتم ذلك في حالات محدودة) على استقرار الدول ويتم ذلك وفقاً لعدة عوامل، فسلبياً على سبيل المثال قد تؤدي الحروب الاقليمية الى اضطرابات داخلية سياسية واقتصادية واجتماعية داخل الدول فقد تؤدي الى التغييرات في الحكم، وممكن أن تتبنى الحكومات سياسات أكثر قمع أو استبدادية تحت ذريعة الأمن القومي. مما يؤدي إلى زيادة الاستياء الشعبي وعدم الاستقرار السياسي داخل الدولة، أو قد تؤدي إلى زيادة التوترات الطائفية والعرقية ، كما وقد تستغل الجماعات المسلحة أو الأحزاب السياسية الاضطرابات الإقليمية من اجل دعم وتعزيز مشاريعها ومصالحها الخاصة، مما يؤدي إلى تفاقم الانقسامات الداخلية، مما يجذب تدخلات من قوى خارجية تعمل على تعقيد الوضع السياسي ، وقد ترغم الدول على زيادة انفاقها العسكري وتخصيص موارد كبيره له للدفاع والحماية ، كما وقد تؤدي الحروب الاقليمية الى أنتشار العنف والإرهاب والجماعات المسلحة، ونتيجة لذلك قد يتدفق اللاجئين من مناطق النزاع مما قد يخلق ضغوطاً سياسية واجتماعية على الدول المستضيفة وظهور ازمات النزوح، مما يؤثر على التنمية الاقتصادية وينتج عدم الاستقرار الاقتصادي الذي يؤدي الى الفقر والبطالة أزمات مما يواجه الدول صعوبة في الحفاظ على استقرارها السياسي، لكن وفي حالات محدودة قد تؤدي الحروب الاقليمية الى تداعيات ايجابية على الدول مثل تعزيز الوحدة الوطنية، أذ تتكاتف الجهود داخل البلد لمواجهة التهديدات الخارجية، كما وان بعض الدول قد تستغل الحروب الإقليمية كفرصة دبلوماسية لتعزيز نفوذها أو الدخول كوسيط لتحقيق مكاسب سياسية مما يؤدي الى تعزيز التعاون بين الدول في مجالات الأمن والدفاع ويمكن أن يسهم في تعزيز الاستقرار خصوصا إذا ما تم بشكل فعال أذ يمكن للدول أن تعمل على مواجهة التهديدات المشتركة (4).

ومماتجب الاشارة اليه هو أن طبيعة العلاقة بين الحروب الاقليمية والاستقرار السياسي للدول يحكمه عده عوامل وبدرجات متفاوتة أذ على سبيل المثال الدول القريبة من مناطق النزاع تكون أكثر تعرض للتأثر سلبياً، وهنا تستطيع الدول ذات القدرات العالية الى التصدي تأثيرات الحروب بشكل أفضل من الدول ذات القدرات المحدودة والضعيفة بسبب امتلاكها القوة الاقتصادية والعسكرية لأحتواء ذلك، كما التحالفات الدولية قد توفر الحماية والاستقرار في مواجهة تداعيات الحروب الاقليمية للدول كلا حسب اهميته و تأثيره(5).

وتفسيراً لما ذكر فإن الصراع الإقليمي في المنطقة يؤثر على كل دول الجوار، وفي دراستنا بالتحديد على مستقبل العراق ووجوده بحدود معينة في الخريطة العالمية، نجد أن المسببات الداخلية في طبيعة النظام السياسي القائم على التعددية، فضلاً عن الاسباب الخارجية فهي إقليمية ودولية ولعل تلك الأسباب تؤدي الى وجود ظاهرة عدم الاستقرار السياسي في العراق، وبالتالي الأمر الذي يجعل من الصراع الإقليمي الدائر يؤثر على العراق بسبب موقعه الجغرافي في منطقة تشهد تنافس شديد بين القوى الإقليمية والدولية(6).

وعليه، أن الحروب الإقليمية غالباً ما تؤدي إلى تدهور في الدول المجاورة لها، إلا أنه في الوقت ذاته طبيعة هذا التأثير تعتمد على قدرة الدول على التكيف مع الانعكاسات واتخاذ التدابير اللازمة للحفاظ على أمنها واستقراره، وإن فهم ديناميات الحروب وتخطيط الاستراتيجي للتصدي لها أمر ضروري للتنبؤ بآثار الصراعات الإقليمية على الاستقرار السياسي وإدارتها والتعامل معها، فقد تتفادى هذه الدول حدوث حالة عدم الاستقرار أو على الأقل التقليل من حدة الآثار المترتبة عليها.

ثانياً: تحليل أثر الحرب في غزة ولبنان على التوازنات السياسية الداخلية في العراق

تعد منطقة الشرق الأوسط من أهم المناطق الحيوية في العالم لذا دائما ماتكون محط أطماع للقوى الكبرى في السيطرة عليها بسبب مزاياها المتعددة، ومحط تنافس أقليمي داخلي لبسط النفوذ، لذلك تعيش المنطقة حالة من عدم الاستقرار [7]، أذ لا توجد منطقة في العالم تشهد تدخلات خارجية وأحداث متشابكة مثل التي تشهدها هذه المنطقة وهي ليست منطقة صراع إقليمي بين الأطراف الإقليمية فحسب، بل أنها منطقة صراع دولي بالوكالة بين القوى الكبرى مثل(الولايات المتحدة الأمريكية) التي تدعم "أسرائيل" من جهة و (الصين وروسيا) الذي تدعمان كل ما يعارض الولايات المتحدة الامريكية من جهة أخرى، كما وأن تأثير هذه الصراعات لا يقتصر على الأطراف المباشرة فحسب، بل يمتد ليشمل تداعيات إقليمية ودولية تؤثر على الأمن والاستقرار في المنطقة، وفقاً لذلك تتعدد مصالح القوى الدولية الكبرى في الشرق الأوسط وتسعى كل منهما لحماية مصالحها الاقتصادية والأمنية والعسكرية فيها [8] ، لذلك يعد الصراع الإقليمي في الشرق الأوسط واحداً من أكثر الصراعات تعقيداً وتأثيراً على الساحة الدولية، ويتميز بتاريخ طويل من التوترات والحروب الدامية بين الدول والجماعات المختلفة، منذ نهاية الحكم العثماني وانتهاء الحرب العالمية الأولى في عام 1918، بدأت النزاعات والصراعات التي شهدتها المنطقة ويشارك في هذا الصراع الشرق أوسطي عدد من اللاعبين الرئيسيين، بما في ذلك(إيران، تركيا ،سوريا، العراق، لبنان، اليمن، وفلسطين، "اسرائيل") وتتنوع الصراعات بين هذه الدول منها السياسية، والاقتصادية ،الدينية، القومية مما يجعل منها تكون معقدة وصعب إيجاد الحلول لها [9].

ومن هذا المنطلق بعد توضيح الحرب الإقليمية نلاحظ أنه في (7) تشرين الأول / أكتوبر (2023) منذ أن شنت حركة «حماس» هجومها المباغت على مواقع الجيش الاسرائيلي في غزة وانطلاق الحرب في القطاع أنتقل التوتر حول موقع لبنان ودوره في هذه الحرب وإمكانية تعرضه للعدوان، ومع تطور الأحداث في غزة أصبحت الوضع العام في المنطقة مترقب لهذهِ الحرب أذ عبرت قوى الوطنية والاقليمية والدولية لعدة دول في المنطقة تخوفها من تداعيات هذه الحرب، واحتمالية اتجاه الأوضاع إلى حرب واسعة وشاملة[10] .

ولكن قبل هذا التاريخ، كانت المنطقة تتميز أنها كانت واحدة من المناطق القليلة في العالم التي تفتقر إلى بنية إقليمية شاملة لإدارة الصراع وتعزيز التعاون الإقليمي. كما كانت موطن لصراعين طويلي الأمد لم يتم التوصل إلى حلول لهما وهما : الصراع (الإسرائيلي- الفلسطيني) والصراع المستمر بين إيران وعدة دول في المنطقة، بالإضافة إلى ان المنطقة شهدت أربع حروب أهلية وما زالت مستمرة حتى الآن في(اليمن،سوريا، السودان، ليبيا) إلى جانب وجود عشرات الجهات الفاعلة المسلحة غير الحكومية، أما من الناحية الإيجابية شهدت المنطقة نوعاً من التهدئة، وهي أولا من خلال "اتفاقات أبراهام" التي أبرمت بين "إسرائيل" وعدد من الدول العربية، وثانياً من خلال الاتفاق التاريخي بين(السعودية وإيران) والذي جرى بوساطة صينية، في /آذار 2023[11].

أما بعد هذا التاريخ برز واضحاً التحول في التنافس إلى صراع، وتحديداً بين إيران و"إسرائيل"، خاصة بعد التراجع المحوري للمنظومة العربية في النظام الإقليمي إزاء الحرب في غزة ولبنان ومحدودية الدور التركي في الحرب وتذبذب مواقفها الإقليمية، مع صمت الفواعل الكبرى روسيا والصين، فإن بروز الصراع والتنافس بين إيران و"إسرائيل" هو الأوضح في النظام الإقليمي، وتصاعدت خيارات ومسارات المواجهة من الحرب بالوكالة إلى المواجهة المباشرة، في تغير دراماتيكي في سلوكيات الصراع [12].

وكانت الحروب التي خاضتها الجيوش العربية ضد "إسرائيل" في الستينيات والسبعينيات هي حروب إقليمية، لأنها شملت أكثر من دولة في الشرق الأوسط مثل(مصر وسوريا والأردن)، بل مشاركة دول بعيدة جغرافيا مثل(المغرب والجزائر) وهو ما ينطبق في الوقت الراهن على الحرب التي تشهدها منطقة الشرق الأوسط منذ السابع من أكتوبر/تشرين الأول 2023، أو ما يعرف بـ(طوفان الأقصى)[13]. فقد اندلعت الحرب في بداياتها محدودة بسقف متعارف عليه ضمناً بين الفلسطينيين ومواجهة للأحتلال الإسرائيلي، لكن ما لبثت وان انتشرت جغرافيا، خاصة مع تفاقم المواجهة بين "إسرائيل" وحزب الله ، أصبحت إقليمية بسبب انخراط عدد من القوى العسكرية في هذه الحرب، إذ توجد مواجهة عسكرية معلنة بين الكيان الاسرائيلي ضد حركات المقاومة في فلسطين وحزب الله اللبناني ، وهذه الحرب تؤثر على الوضع في الشرق الأوسط بشكل كبير[14].

واذا ما حددنا اسباب هذا الصراع في الشرق الاوسط فيعود إلى العديد من الأسباب التاريخية والسياسية والدينية، بدءاً من الانقسامات القبلية والعرقية، ووصولاً إلى التدخل الخارجي، والصراعات الدينية والسياسية [15]، كما يشهد الشرق الأوسط تنافساً شديداً بين الدول الإقليمية والدول الكبرى من أجل النفوذ والتأثير في المنطقة، مما يعزز من حدة الصراعات والنزاعات[16]، أما الأسباب التي أدت إلى تصاعد الحرب الإقليمية على غزة ولبنان، ومن أبرزها: التوترات المستمرة بين "إسرائيل" وحماس اذ تصاعدت الأعمال العدائية بين "إسرائيل" وحماس، خاصة بعد الهجمات التي وقعت في 7 أكتوبر 2023، مما أدى إلى تصعيد كبير في العنف في غزة وتهديد استقرار المنطقة[17]، كما أن الاستراتيجية الإسرائيلية الذي تسعى إلى تأمين حدودها والتخلص من التهديدات، كما لعب الوضع السياسي في لبنان دور في ذلك بسبب ما يعانيه من حالة الجمود السياسي، مما يضعف قدرة الدولة على التعامل مع الأزمات الإنسانية

والسياسية، ويزيد من تعقيد الوضع الإقليمي، التدخلات الإقليمية مثل إيران ودورها في المنطقة، الاستجابة الدولية وفشل الجهود الدولية في تحقيق وقف دائم لإطلاق النار، مما أدى إلى تفاقم الأوضاع الإنسانية في غزة وزيادة التوترات في لبنان تداخلت هذه العوامل لتشكل بيئة معقدة تؤدي إلى تصاعد الصراع في المنطقة، مما يهدد الاستقرار الإقليمي، لكن مع ذلك، فإن الصراع بين الأطراف الإقليمية ليس وحده السبب، أذ لا يمكن إنكار حقيقة وجود أطراف دولية أخرى تساهم بشكل كبير في تأزم وضع الشرق الأوسط، إنه صراع معقد له أبعاد إقليمية ودولية أخرى[18].

وفي ظل عدم وجود رادع دولي تسعى "اسرائيل" إلى تمديد رقعة عدوانها لأستهداف العراق بدعوى مهاجمة الجماعات المسلحة الموالية لإيران ما يهدد بحرب إقليمية واسعة، فقد رصدت "إسرائيل" (65) هجوم بطائرات مسيّرة قادمة من العراق منذ بداية تشرين الثاني 2024، وسط زيادة عدد الهجمات بالمسيّرات خلال الأشهر الماضية، مما جعل لديها خطط عمل واضحة إذا حدث تصعيد أكبر تبدأ بضرب البنية التحتية والمنشآت، لاسيّما أن العراق منذ 28 تشرين الأول الماضي أعلن تقديمه مذكرة احتجاج رسمية إلى الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي تدين انتهاك "إسرائيل" لأجوائه في هجومها على إيران. وأكد العراق مراراً رفض استخدام أراضيه وأجوائه للاعتداء على أي دولة، بل رغبته الدائمة للعمل بكل قوة وجهد لإنجاح دور العراق البارز في تهدئة الأوضاع وعدم الذهاب نحو التصعيد وجر المنطقة إلى أتون الحرب الإقليمية الشاملة، وضرورة توحيد الجهود واستخدام كل وسائل الضغط لإنهاء الحرب على غزة ولبنان ومعالجة تبعاتها الكارثية[19].

وناهيك عن ذلك فقد أعلنت الحكومة العراقية رسمياً دعمها للقضية الفلسطينية، ودعت الولايات المتحدة إلى بذل المزيد من الجهود لمنع العنف الإسرائيلي، وعقدت العديد من مؤتمرات القمة على مختلف المستويات لمعالجة الحرب في غزة ولبنان، وقد حضر رئيس الوزراء والرئيس العراقي قمتين إقليميتين في القاهرة والرياض[20].

واستناداً على ما سبق لابد من الإشارة أن الحكومات العراقية المتعاقبة تسعى الى تأدية دور الوسيط الإقليمي الرابح من خلال إثبات أن العراق فاعل إقليمي يمكن دمجه في الخريطة السياسية والاقتصادية للمنطقة، وفي هذا الإطار، تمكن العراق الذي جمع كلاً من فرنسا والسعودية والإمارات والكويت وقطر ومصر والأردن فضلاً عن تركيا وإيران في مؤتمر (بغداد للشراكة والتعاون) وكان هذا المؤتمر بمثابة مبادرة دبلوماسية لتخفيف التوترات الإقليمية، وتأكيد دور العراق كوسيط ، فحاول العراق الابتعاد عن سياسة المحاور، والصراعات سواء فيما بين بعض دول المنطقة أو بينها وبين القوى الدولية، وذلك من خلال محاولة العراق بناء شبكة علاقات متوازنة مع شركاء إقليميين ودوليين، ويُدرك صناع القرار في بغداد خطورة الانضواء إلى جانب محور إقليمي أو دولي معين ضد آخر واخرها كان خطاب رئيس الوزراء العراقي (محمد شياع السوداني) فيما يخص حرب غزة ولبنان داعياً فيه ضرورة التهدئة وابعاد العراق عن التوترات الإقليمية، ولهذا جاءت دبلوماسية الوساطة التي تبناها العراق من أجل خفض التوترات في الأزمات الإقليمية، والعمل على إقامة علاقات متوازنة مع مختلف الدول كما يحاول العراق إعطاء انطباع مختلف عما هو سائد بعدم قدرتها على الخروج من دائرة التأثير الإيراني بل التوجه والامتداد بفكرة طرح مشروع طريق التنمية

الذي يمثل مشـــروع حكومة ودولة بنفس الوقت وابعاده عن دائرة التصعيدات(21).

الأمر الذي يقضـــي بأن العراق يشـــهد تحديات كبيرة؛ نتيجة للصـــراع الإقليمي الحالي في ظل حرب "اسرائيل" على غزة ولبنان، فضلاً عن التوترات الداخلية التي تشهدها سوريا بعد سيطرة قوات المعارضة السورية على أغلب المناطق، إلا أنه بوجود قيادة قوية وسياسات حكيمة يمكنه تقليل التأثيرات السلبية وتحقيق مكاسب إستراتيجية من خلال تبني دور أكثر استقلالية وحيادية.

ثالثاً: معوقات التدخل العراقي في الحرب الإقليمية

إن العراق دولة تملك إمكانيات اتخاذ دور في الساحة العربية والإقليمية، وثمة تحسن ملموس في مصادر أو عناصـــر القوة العراقية خلال الســـنوات الأخيرة، بالتزامن مع ظهور معطيات ساهمت في الاهتمام بالدور العراقي في المنطقة من قبل قوى عديدة، إلا أنه في الوقت ذاته هناك العديد من الأســـباب أو التحديات التي تعيق هذا الدور أو تحد من تأثيره وتضـــع حدوداً له سواء خلال الفترة الحالية أو الفترة القادمة، وأن الحديث عن دور عراقي مؤثر وحاســـم على الســـاحتين العربية والإقليمية ربما يحتاج إلى بعض الوقت(22).

وتنطوي وجهة النظر هذهِ بعد أن سيطرت فصائل المعارضة السورية على ادلب وحلب وحماه وبعض مناطق حمص ودرعا، فهذهِ الفصـــائل جعلت وحدة ســـوريا معرضة قطعاً للتهديد والتمزق بين اربعة قوى على الاقل هي : المعارضة (هيئة تحرير الشام ، المعارضة للجيش الوطني السوري)، قوات قسد الكردية ، العلويين وبعض القوى السنية العلمانية في الساحل والسويداء ومناطق اخرى، وفيما يتعلق بالعراق قد يجعل التدخل مشـــكلة وعدم التدخل مشكلة اخرى ، إلا أن وضـــع الدفاع (شرعي) افضل من الهجوم (غير مكتسب للشرعية وينعكس بشكل سلبي على العراق) مع التأكيد على ان تعاملنا سابقاً مع خطر تنظيم داعش الإرهابي القادم من سوريا كان دفاعياً ، إما الاسلوب الاستباقي فهو مخالف لعقيدتنا العسكرية ولا ينسجم مع وضعنا السياسي والمجتمعي ، والجهد السياسي – الدبلوماسي هو الافضل ، فعلى الارجح داعش ســـتظهر قريباً في تدمر وبادية حمص وبعض مناطق دير الزور واذا ما تمددت داعش قد تكون ســـبب لدعم اقليمي وعالمي للحكومة الســـورية للتركيز على مواجهة خطر التنظيم الارهابي قبل كل شي ويتم القاء اللوم على المعارضة في تهيئة الارضية لاستعادة زخم الارهاب الداعشي ، وسيكون تدخل العراق فقط في سوريا في ذلك الاحتمال فقط مبرر حينها(23).

وعليه، هناك مجموعة من العوامل التي يمكن أن تؤثر على قرار العراق فيما يتعلق بالتدخل المباشر أو غير المباشر في الصراع الإقليمي من أبرزها(24):-

1- **العلاقة مع الولايات المتحدة الإمريكية:** يؤدي الوجود الأمريكي في العراق دورًا في تحديد السياسات الخارجية لاسيّما فيما يتعلق بالنزاعات الإقليمية، فالولايات المتحدة تعد حليفًا "لإسرائيل"، وقد تضغط على الحكومة العراقية لعدم الانخراط في أي دعم مباشـــر للفصائل الفلسطينية.

2- **الدعم الشـــعبي والســـياســـي للقضـــية الفلســـطينية:** أن المشاعر الشعبية في العراق تميل إلى دعم الفلســـطينيين، مما قد يدفع الحكومة إلى اتخاذ مواقف أكثر صـــرامة، حتى لو لم تصـــل إلى مســـتوى التدخل العســـكري المباشر.

وعلى هذا الاســـاس طرح مراقبون للشـــأن العراقي "خارطة طريق" لتجنب تداعيات الحرب في غزة وجنوب

لبنان، تتضمن التحرك دبلوماسياً واستخدام التأثير السياسي لتقديم مقاربات لحل الأزمات، ويتزامن التحرك الخارجي مع إجراءات داخلية أبرزها حصر السلاح بيد الدولة، إذ أن خروج العراق من الصراعات التي يمر بها الشرق الأوسط يكون بالالتزام بمبدأ التوازن الذي سارت عليه الحكومات العراقية، وهنا لابد أن يعلن السوداني رسمياً العودة إلى مبدأ التوازن في علاقات العراق الخارجية، واعتماد خطاب خارجي يتسم بالحياد الشديد، وعدم استفزاز الأطراف العربية والدولية، وكذلك عدم إظهار العراق على أنه دولة جسرية أو مجرد ناقل للرسائل، إذ إن العراق لديه الإمكانية ليكون صاحب مبادرة في الكثير من القضايا من خلال تحرك الحكومة دبلوماسياً باتجاه إيران والدول العربية والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، لتعطي رسالة بأن العراق يقدم مقاربة لحل الأزمات الموجودة، واستخدام التأثير والصداقات التي يمتلكها العراق ليتجنب تداعيات الحرب في غزة وجنوب لبنان، فضلاً عن ضرورة القيام بخطوات عدة في الداخل العراقي عبر المباشرة بنزع سلاح الفصائل المسلحة، ويكون حصر السلاح بيد الدولة ليس شعاراً بقدر التحرك بهذا الخصوص، فعلى الرغم أن الحكومة العراقية تصرح إننا لسنا طرفاً في الحرب، إلا أن العراق لا يزال جغرافياً لاستهداف القواعد الأمريكية وحتى "إسرائيل"، لذا يجب عليها التحرك أمنياً بعد فشل الحوار مع هذه الفصائل لاسيّما أن العراق أصبح جزءاً من الصراع السياسي والعسكري، مما جعله في دائرة الخطر، وهو الآن ضمن بنك الأهداف الإسرائيلية؛ لأن العراق حسب تصنيف نتنياهو ضمن محور الشر، وهذا لا يشمل الفصائل والحكومة وإنما النظام السياسي، لذلك العراق سيواجه منعطفات كبيرة بسبب إخفاق هذه المعادلة السياسية، لذلك يحاول السوداني جاهداً العبور إلى بر الأمان من خلال معادلة وسطية معتدلة، والسيطرة على كل القوى بما فيها الفصائل المسلحة[25].

وبناءً على ما ذكر يتضح إن استمرار سياسة العراق الخارجية الإيجابية ودبلوماسية التسوية الفاعلة التي يتبناها، يحتاج إلى بيئة داخلية مستقرة، فالسياسة الخارجية هي مرآة للوضع الداخلي، وإذا لم تستطع الحكومات العراقية معالجة أزماتها وتحقيق الاستقرار الداخلي واتباع سياسة النأي بالنفس عن التوترات الإقليمية، فإنها لن تكون جديرة للقيام بدور فاعل في المحيط الإقليمي.

رابعاً :المشاهد المحتملة خلال المستقبل المنظور

أن أي عملية تحليل إستراتيجي حقيقة لابد أن تقوم على أساس توقع النتائج المحتملة لما يجري من صراع أقليمي وذلك عبر تصور عدة سيناريوهات هي:

1- مشهد الاحتدام التدريجي (التصعيد):

يقوم هذا الاحتمال على اساس تطور الإوضاع الإقليمية إلى زيادة التوتر، فيجعلنا نذهب لاحتمالية (حرب إقليمية شاملة طويلة الأمد) قد تغير خريطة منطقة الشرق الأوسط بأكملها، وسيكون لها تأثير سلبي على تماسك عدة دول بالمنطقة، ما سيؤثر على الاقتصاد العالمي لأنه يمر عبرها جزء كبير من ناقلات النفط والسفن التجارية.

وأن هذا الاحتمال لاندلاع حرب إقليمية ليس من مصلحة الولايات المتحدة، إذ ستكون تداعياتها غير معروفة وسوف تؤثر على العالم بأسره، فالحوثيون سوف يزيدون مخاطر استهداف السفن بالبحر الأحمر ومضيق هرمز، ووقتها قد تتوقف صادرات النفط، ولذلك يجب على "إسرائيل" وحلفائها من الدول العربية والأجنبية منع أي مساس بالتجارة العالمية أو موارد النفط[26].

وفيما يتعلق بالاستقرار السياسي في العراق في حالة حدوث تصعيد كبير يشمل مواجهة إقليمية بين

إيران و"إسرائيل"، قد يجد العراق نفسه مضطرًا للانخراط، سواء من خلال الفصائل المسلحة المرتبطة بإيران أو عبر دعم دبلوماسي وعسكري محدود للفلسطينيين، ومما لا شك ان ما حصل في سوريا خلال الفترة الممتدة من 27 تشرين الثاني لغاية 9 من كانون الاول 2024 هو امر بالغ الاهمية والخطورة ويعد من الاحداث الكبرى التي تواجه الدولة فبعد حرب بدأت منذ عام 2011 كان آخرها الموجة الاخيرة تم اسقاط النظام السياسي وتفكك المؤسسة العسكرية ومؤسسات الدولة بالقوة المسلحة على يد مجموعة من الفصائل المسلحة، إذ من من المحتمل انها ستحول سوريا مجدداً الى بؤرة للصراع قد يفتح المجال الترتيبات دولية واقليمة تهدد امن العراق، فضلاً عن ان هذا الوضع سيتيح "لاسرائيل" التمدد اكثر والاقتراب من تحقيق خططها الخاصة باعادة ترتيب منطقة الشرق الأوسط ، وقد يسهل من مهمتها الخاصة بالتدخل بالشأن العراقي وتهديد امنه بشكل اكبر من السابق، وقد يسمح تدهور الوضع الامني والسياسي وتعقده بظهور تنظيم داعش الارهابي مرة اخرى واضطرار الولايات المتحدة التدخل مرة ثانية لمواجهته عبر دعم قوات سوريا الديمقراطية التي ستتمدد على الجغرافيا السورية بشكل اكبر وتمثل تهديد جديد للعراق ، قد تتحقق هذه التحديات وتفرز انعكاسات سلبية على الداخل السوري وعلى دول الجوار ومن بينها العراق وعلى المنطقة والعالم بشكل عام لاسيّما اذا ما تظافرت معها ارادات اقليمية ودولية مزعزعة ، غير أن امكانية القدرة على تجاوزها من قبل القوى السياسية السورية الجديدة وداعميها تبقى ممكنة. ومع ذلك، يبقى هذا المشهد أقل احتمالاً نظرًا للتحديات الداخلية التي يواجهها العراق(27).

2- مشهد التفاهمات الاستراتيجية (خفض التصعيد):

يقوم هذا الاحتمال على أساس استبعاد اندلا ع حرب إقليمية وخلق قنوات دبلوماسية عبر اتباع العراق سياسة للنأي بالنفس والحفاظ على أمنه القومي، وعلى الرغم من ذلك يجب أن نتحدث عن مجموعة محفزات قد تظهر في المستقبل لتحقق هذا الاحتمال وعلى النحو الآتي:

أ- الدعم السياسي والإنساني فقط فمن المرجح أن تستمر الحكومة العراقية في دعمها السياسي للقضية الفلسطينية من خلال البيانات الرسمية والدبلوماسية، فضلاً عن تقديم مساعدات إنسانية للفلسطينيين، وهذا المشهد يتماشى مع سياسات العراق التقليدية بعد عام 2003، والتي تركز على عدم التورط المباشر في النزاعات الإقليمية(28).

ب- إن تورط العراق في الصراع السوري الحالي سيضعه بشكل مباشر في لائحة استهداف مخابراتية دولية، إذ أن هيئة تحرير الشام قد تم صياغة أهدافها بشكل مباشر لمعالجة النفوذ الإيراني في سوريا وإنهت حكم بشار الأسد، بالتالي فإن فهم هذا التصور بشكل صحيح قد يجعل من العراق بعيداً عن الاستهداف، لاسيّما بعد أعلان هيئة تحرير الشام أنها لا تتطلع للتمدد بشكل مباشر خارج حدود الدولة السورية، وهي اساساً لا تستطيع فعل ذلك في ظل وجود قوات سوريا الديمقراطية التي تسيطر على مساحات مناطق غرب الفرات، وإن أكثر ما يمكن أن يقود لانعكاس مباشر اتجاه العراق هو حدوث احتكاك مباشر بين قوات هيئة تحرير الشام وقوات سوريا الديمقراطية، وعلى الرغم من وجود تطمينات مشتركة ما بين قوات سوريا

الديمقراطية وهيئة تحرير الشـــام على أنها لن تواجه بعضــها، إلا أن هذا الاتفاق لا يمكن الرهان عليه لتحقيق متطلبات الأمن القومي العراقي لاســيّما إذا ما علمنا أن قوات ســـوريا الديمقراطية قد أصـــدرت عفواً عاماً عن ســـجناء كانوا مدانين بأعمال إرهابية وانتمائهم لتنظيم داعش قبل أشهر قليلة، جزء من هؤلاء القيادات والمقاتلين يقاتلون مع هيئة تحرير الشـام بشـكل مباشـر في عملياتها الأخيرة وهذا يعني أنه لا ضـــمانات حقيقية يمكن الرهان عليها سواء من قسد أو هيئة تحرير الشام، وكل ذلك لا يعني بالضـــرورة أن العراق يجب أن يندفع كدولة ومؤسـسـات عسـكرية وأمنية للتورط في العمق السوري أو الحرب الدائرة في سوريا وأنما يجب أن تكون أولوية الدولة العراقية هو الجلوس في طاولات الحوار المخابراتية عبر القنوات الخلفية الإقليمية واجراء تقييمات أمنية مســـتمرة وتعزيز ملفات إدارة الحدود العراقية السورية بقوات إضافية وابراج مراقبة وكامرات حرارية وطائرات مســـيرة وجهد استخباراتي مكثف[29].

ت- إن موقف قوى محور المقاومة في العراق هو الآخر يمكن اعتباره حتى الآن موقفاً عقلانياً لانه غير متورط في الأحداث الإقليمية، وهذا يعني عدم اســـتهدافهم إذا حافظوا على هـذا الموقف، خصـــوصـــاً أن إيران لا تريد الذهاب بعيداً في خياراتها بالمنطقة ومســـتعدة للتخلي عن بعض النفوذ في لبنان وســـوريا وربما العراق من أجل الحفاظ على وجودها في المنطقة، لهذا أن أي تورط عراقي سيعني بالدرجة الأساس ذهاب قوى المحور إلى بؤرة الاســـتهدف والتصـــفية وهذا ما تريده "إسرائيل" بشكل مباشر، وهو سحبهم إلى معركة لكي تسهل عملية تصفيتهم. فضلاً عن ذلك، لا يمكن فصـــل ما تريد فعله حركات الفصـــائل المســـلحة في العراق عن التبعات التي قد تترتب على العراق،إذ إن أي تحرك ســـتقدم عليه هذهِ الجماعات اتجاه سوريا وغزة ولبنان سيكون العراق هو المستهدف الأول فضـلاً عن القوى نفسـها، لهذا من غير الصـــحيح توريط الدولة العراقية في صـــراع غير محســـوب خلال الفترة القادمة فقد يتعرض العراق لعقوبات اقتصادية وضربات تتعلق ببناه التحتية وموانئه ويدخل العراق ضـــمن دائرة الاستهداف المباشر بسبب هذا التصعيد[30].

وبين هذا وذاك يجب على العراق أن لا يبقى في صـف الدول المتفرجة لأنه معني بكل التطورات على السـاحة السـورية والإقليمية، فبمجرد اتضـاح الرؤية وبعد ايام قليلة يجب على الدولة العراقية أن تكون لها اسـتراتيجية خاصـة للتفاعل مع الوضـع الجديد لحماية امنها وتأمين مصالحها ، عبر مغادرة سـياسـة عدم الاكتراث السـابقة واتباع بدل ذلك سياسة التدخل البناء الحذر الذي لا يضع العراق في مواجهة طرف معين وبنفس الوقت يتيح للعراق المســـاهمة في خلق الحدث بدل تلقيه فقط وتحقيق نفوذ داخل المشهد السياسي السوري والتحول الى فاعل استراتيجي في المشـهد السـوري ، لان سـوريا بلد اسـتثنائي بالنسـبة للعراق وهو خاصـرة العراق الرخوة وعمقه الاستراتيجي بنفس الوقت[31].

وفي الخلاصـــة يمكن القول لا تعد هذهَ المعركة عراقية بأي شكل من الأشكال سواء فيما يتعلق بحرب "اسرائيل" على غزة ولبنان أو الاحداث في سوريا بقدر ما أن العراق يحتاج لتقييم الأمور بشكل صحيح ويتحرك إقليمياً بناءً على ذلك، إلا إذا قررت بعض الجماعات

في سوريا التمدد إلى العراق، وهنا يجب أن يكون هناك موقف حازم وقوي من قبل الدولة العراقية لإيقاف أي محاولة قد تأتي من خارج الحدود.

الخاتمة:

إن مما لا شك فيه أن الشرق الاوسط سيواجه تحديات حقيقية، ومواقف وصراعات متباينة وينبغي العمل عليها بصورة مرحلية، وعبر استراتيجيات تدريجية أذ لا توجد حلول أو خيارات جاهزة، وإنما العمل على جزئيات، وأنصاف الخيارات التي قد تؤدي إلى تسكين المواقف، وعدم حلها كما يجري في أغلب الأزمات العربية والشرق أوسطية الراهنة، وهذا الوضع الجيوسياسي المتأزم حاليا ، يضعنا أمام تساؤل : هل ستبقى الاوضاع متأزمة؟ وهل حقاً نشهد اليوم مرحلة تغيير النفوذ أم مرحلة تغيير الخرائط على الارض حدودياً وسياسياً واقتصادياً؟ لاسيّما ان المنطقة في مرحلة جديدة من التصعيد ، وللعراق دور مهم في ذلك أذ يعيش في وسط بيئة إقليمية تتسم بأنها شديدة التعقيد والتأثير في آن واحد، وأن التوازن الإقليمي في منطقة الشرق الأوسط يتصف بأنه توازن غير مستقر يسوده غياب التفاهم والتعاون، وتملئه حالات التنافس والصراع، فضلاً عن الرغبات في تغيير المواقف بين القوى الفاعلة فيه، ناهيك عما تعوزه التفاعلات الإقليمية، واللاعبين المتنفذين فيه من مدركات جيوسياسية تذهب إلى الحد من دور العراق الخارجي.

المصادر

* كلية العلوم السياسية/ الجامعة المستنصرية.

(1) نبيل عمرو، الحرب الإقليمية احتمال جدي أم فزاعة، صحيفة الشرق الإوسط، 26/ آب/2024، على الرابط الالكتروني الاتي: https://bit.ly/3OzJy8y

(2) الحرب الاقليمية في الهلال الخصيب، موقع المسلم، 29/ ربيع الثاني/ 2024، على الرابط الالكتروني الاتي: https://almoslim.net/node/180095

(3) صباح نوري، الحرب غير المتكافئة: حرب غزة أنموذجاً، دار آمنة للنشر والتوزيع، عمان- الإردن، 2025، ص28.

(4) Charles Cater ،The Regionalization of Conflict and Intervention،International Peace Academy ،IPA Seminar Report ،New York ،May /2003،P 2-3.

(5) مهدي محمد القصاص، الحروب الحديثة واثرها على امن المجتمعات : دراسة ميدانية ، مجلة مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة ، العراق ، العدد (70) ، ايلول/ 2023، ص10-11.

(6) حنان صبحي، الصراع الاقليمي ودوره في زعزعة الأمن القومي العراقي، المركز الديمقراطي العربي، برلين- المانيا، 2020، على الرابط الالكتروني الاتي :https://search.app/gLzhv2MZVnjM9Cfz6

(7) ريام محمد عبد الله ، الشرق الاوسط من منظور القوى الاقليمية الكبرى، مجلة مدارات سياسية، جامعة تكريت، العدد (2) / 2017 ، ص124 .

(8) حبيبة زيدان، فرص الحرب الإقليمية الشاملة فى الشرق الأوسط،تحليلات،السياسة الدولية، 2024/10/20, متاح على الرابط الالكتروني الاتي: https://www.siyassa.org.eg/News/21876.aspx .

(9) محمد السعيد ادريس، التطورات المستحدثة في البيئة الاقليمية والدولية وانعكاساتها على النظام العربي، دراسات ، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، تموز/2024 ، ص10.

(10) سالي سعد محمد، لبنان بين التحييد والتصعيد في حرب غزة ، سلسلة أصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط ، العراق- بغداد، 2023، ص3.

(11) بول سالم، حرب غزة والنظام الاقليمي في الشرق الاوسط، صحيفة المجلة الالكترونية، 17/ تموز/ 2024،على الموقع الالكتروني الاتي:https://www.majalla.com/node/ .

(12) احمد عدنان الميالي، الصراع على النظام الاقليمي سيناريوهات التصعيد والمواجهة بين ايران و اسرائيل، مركز البيان للدراسات والتخطيط ، العراق / 2024، ص3.

(13) حسين مجدوبي، اكثر من حرب اقليمية، صحيفة القدس العربي الالكترونية، ٢٣/ايلول/٢٠٢٤ ، على الموقع الالكتروني الاتي: https://www.alquds.co.uk/ /

(14) The Danger of Regional War in the Middle East ،international crisis group, 27 /Feb /2024 ، available on link : https://www.crisisgroup.org

(15)حسين احمد الجرو _ احمد مفتاح الفلاق ، دور القوى الاقليمية والدولية في تشكيل النظام السياسي في الشرق الاوسط وشمال افريقيا : حالة ليبيا ، مجلة جامعة بني وليد للعلوم الانسانية، العدد (3) ، ايلوا / 2024 ص490.

(16) يوسف راشد الهاجري ، الصراع الاقليمي في الشرق الاوسط ، صحيفة السياسة ، 13/ايلول/ 2024، منشور على الموقع الالكتروني الاتي : https://alseyassah.com/article/416022..

(17) المخاطرة الاسرائيلية : حرب أقليمية شاملة وطويلة ، تقدير موقف، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة_قطر، تشرين الاول/2024، ص4-5.

(18) The Gaza war and the Regional Turmoil In the Middle east ،Beirut Security Debates،The Issam Fares Institute for Public Policy & International Affairs , FEB/2024 ،P12-7 .

(19) ليث الجنيدي، بموازاة الإبادة في غزة ولبنان هل تهاجم اسرائيل العراق ،وكالة الاناضول الاخبارية، 19/ تشرين الثاني/2024، على الرابط الالكتروني الاتي:

https://bit.ly/3D3uKw7

(20)Marsin Alshamary and Kevin Huggard, How Iraq is managing the Israel-Gaza crisis, The Brookings Institution, Washington, December 21, 2023,avaible at:
https://www.brookings.edu/people/marsin-alshamary/

(21) كرار نوري حميد، العراق: قراءة في البعد الإقليمي، دورية شؤون دولية، العدد(1)، كلية العلوم السياسية، جامعة تكريت، 2024، ص10.

(22) المصدر نفسة،ص10.

(23) مقابلة اجرتها الباحثة مع استاذ الدراسات الدولية في جامعة بغداد ومدير مركز حمورابي الدكتور(سعد عبيد علوان السعيدي)، في مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية، الكرادة- بغداد، 9/ كانون الأول/2024.

(24)محمد الربيعي، موقف العراق من التصعيد في غزة ولبنان: بين الدعم السياسي والتدخل المحتمل، مركز البيان للدراسات والتدخل المحتمل، 17/ تشرين الأول/2024،على الرابط الالكتروني الاتي :
/https://www.bayancenter.org/2024/10/12509

(25) بعد رسالة السوداني خارطة طريق للعراق لتجنب تداعيات غزة وجنوب لبنان، شفق نيوز، 7/تشرين الأول/2024، على الرابط الالكتروني الاتي : https://bit.ly/3B6HykQ

(26) وائل الغول، تعزيزات بالشرق الأوسط هل الحرب الإقليمية على الأبواب، موقع الحرة الاخباري، 3/آب/2024، على الرابط الالكتروني الاتي : https://arbne.ws/49Ai4t8

(27) سعد عبيد السعيدي، مستقبل سوريا بعد انتهاء نظام بشار الاسد، دراسة بحثية، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، 10/ كانون الأول/2024، ص7.

(28)محمد الربيعي، مصدر سبق ذكره.

(29) علي بشار اغوان، قراءة إقليمية في الاتدادات والجيوسياسية تجاه العراق بعد التمدد الجغرافي لهيئة تحرير الشام، سلسة اصدارات مركز البيان للراسات والتخطيط، تقدير موقف، مركز البيان للدراسات والتخطيط، بغداد، 2024، ص11.

(30) المصدر نفسه، ص12.

(31) سعد عبيد السعيدي، مصدر سبق ذكره، ص8.